وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود أريت الامم بالموسم فرايت امتي قد سدت السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيأتهم فقيل لي ارضيت فقلت نعم فقال ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محيص فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولما قرا الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى اخر الاية قال ما ينبغي للعبد بعد هذه الاية ان يلتجي الى مخلوق ولا الى احد غير الله

فصل في بيان حقيقة التوحيد

الذي هو اصل التوكل ودرجاته فاعلم ان معنى التوحيد ما يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يتوجهها قولك له الملك والايمان بالوجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد فمن غلب معنى هذه الجملة على قلبه صار متوكلا واصل ذلك التوحيد فهو ينقسم الى اربع مراتب الى لب والى لباب والى قشر والى قشر القشر كالجوز الاولى الايمان بالقول المحض وهو قشر القشر وهو ايمان المنافقين والعياذ بالله والثانية التصديق بمعنى الكلمة وهو ايمان عموم المسلمين والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اسبابا كثيرة ولكن مع كثرتها صادرة من الواحد القهار الرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهذه مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد فلا يرى نفسه بكون باطنه مستغرقا

بذكر الواحد

بذكر الواحد الحق وهو المراد بقول ابي يزيد رضي الله عنه ثم انساني ذكر نفسي فالاول هو الايمان باللسان وحده الذي رفع السيف وعصمة المال والدم لقوله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه معنى الكلمة خال من الشك فيه ولكن لا انشرح في باطنه فهذه الحالة توجب حفظه من العذاب في الاخرة ان توفي عليها ولم يضعفها بالمواظبة على المعاصي والى هذا العقد يطرق حيلة المبتدع بالنقض وحيلة المتكلم بدفع النقض الثالث موحد بمعنى انه انشرح له الصدر فلم يشاهد الا واحدا وان كثرت الاسباب يعلم ان مصدرها الحق من الواحد الحق الرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده وقلبه الا الواحد الحق وفني عن الوسايط وعن نفسه وهذه الحالة هي العليا وهي دهن اللب في الجوز مثلا ولا كلام في هذه الحالة الرابعة بل الكلام في الثالث وهو الذي يرى الواحد الحق ويرى الكل واحدا لصدوره من الواحد الحق وعند هذا يتصور من يشرق على قلبه نور الله المراد بقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيقول كيف يرى الكل واحد وهو يرى تعدد الاسباب من السموات والارضين ويرى الاعداد الكثيرة واعلم ان كشف هذه الاسرار لا يمكن اذ قال بعض العارفين فتشا رس الربوبية كفر ولكن نورد ما ينكسر به سورة هذا الاستبعاد فنقول الانسان ان نظر الى نفسه يراها شخصا واحدا وان تامل في تفاصيل الاجزاء والتشريح يراه كثيرا ولكنه من حيث انه شخص واحد يراه واحدا لا عدد فيه فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات كثيرة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد ومثاله الانسان وان كان لا يطابق فينبهك على ان الشئ قد يكون باعتبار متكثرا واعتبار متحدا واحدا الى هذا اشار الحسين